

دراساتٌ أدبيّة:

رؤية دلالية في ثنائية التناوب بين الماء والدم في الشعر العربي

A semantic perspective in the Duality Role of Water and Blood in Arabic Poem.

Satu perspektif semantic di Dualiti Peranan Air dan Darah dalam Syair Arab.

عطية محمود حسّانين*

ملخص البحث:

تكشف هذه الدراسة عن الرباط بين الماء والدم في الشعر العربي القديم، فكلاهما وثيق الصلة بالحياة والموت؛ حيث يتداخلان ويتبادلان داخل السياق على النحو الذي تكشف عنه الدراسة المبينة على الدلالات والانزياحات فيما بينهما، فقد يتجاوز لفظ الماء معاني الرقة والليونة والعذوبة ويخرج من معناه المعجمي إلى معنى دلالي متلبساً بدلالات القوة والمُنعة، مُستعِيناً بالسياق في هذا التلبس، لمجاورته لدلالات الدم أو للفظ الدم في السياق كما سيتضح في الدراسة. ومن نتائج الدراسة أن للثنائية التبادلية حضوراً واضحاً في الشعر العربي القديم، وجاء هذا الاختلاف والتفاوت تبعاً للفظ الدم أو حضور دلالاته، وعند حضور الدم إلى النص بدلاً من لفظ الماء، ليحمل معنى كثرة الانهماك والصبّ أو مع أدوات القتال، يقيم مع لفظ الماء علاقة تبادلية أو علاقة دلالية، فيغيب أحدهما في الآخر، ويظل الدم مع أدوات القتال شاهداً على هذا الحضور، وعماماً مؤثراً فيه، وهذه الدراسة تعد إطاراً عاماً لفهم هذه الظاهرة؛ لكي يتم وضعها في السياق الأدبي.

الكلمات المفتاحية: السياق-الغياب-المجاورة-الحضور-القوة.

Abstract

This study reveals the link between water and blood in ancient Arabic poetry, both closely related to life and death; they overlap and interact within the context as revealed by the study based on the signs and shifts between them, the word water may transcend the meanings of tenderness and sweetness and emerge from its lexicon meaning to the meaning in the context of weariness . Its proximity to the blood or blood-related connotations in the context as will be seen in the study. The study found

* أستاذ مساعد، قسم الأدب والنقد بكلية الآداب، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية.

ammohammad@ju.edu.sa

أرسل البحث بتاريخ: ٢٠١٩/٤/١٢م، وقبل بتاريخ: ٢٠١٩/١٠/١٢م.

that the reciprocal duality has a presence in the ancient Arabic poetry. The difference and disparity came according to the word blood or the presence of its connotations. The presence of blood is near to the text rather than the word water because it carries the meaning of frequent pouring and pouring or with fighting tools, establishes with the word water exchange or a semantic relationship, one absent in the other, and blood with the tools of fighting remains a witness to this presence, and an influential factor in it, and this study is a general framework to understand this phenomenon; to be placed in the literary context.

Keywords: Context - Absence - Neighboring - Attendance - Force.

Abstrak

Kajian ini menyerlahkan hubungan di antara air dan darah dalam syair tradisional Arab yang terhubung rapat dengan hidup dan mati; kedua-duanya saling bertindih dan berinteraksi di dalam konteks seperti yang dirumuskan kajian ini berdasarkan kepada tanda-tanda dan perubahan yang berlaku antara mereka. Air mungkin menjangkau makna kelembutan dan kemanisan kepada maksud keresahan. Hubungannya yang rapat kepada darah dan konotasi berkenaan dengan darah juga dalam sesuatu konteks akan dapat dilihat dalam kajian ini. Kehadiran darah adalah dekat dengan teks dan bukannya perkataan air kerana ia membawa makna yang sering dituangkan dan dituangkan atau dengan melawan alat-alat, menetapkan dengan perkataan pertukaran air atau hubungan semantik, yang tidak ada di pihak lain, dan darah dengan alat pertempuran tetap menjadi saksi kehadiran ini, dan faktor yang berpengaruh di dalamnya, dan kajian ini merupakan rangka kerja umum untuk memahami fenomena ini; untuk diletakkan dalam konteks sastera.

Kata kunci: Konteks, Ketiadaan, Berdekatan, Kehadiran, Kuasa

مقدمة

قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^١، فمن خلال الماء يدرك الإنسان قدرة الله الخارقة.

فالماء عصام هذا الكون الممتلئ بأسراره العجيبة التي لا يقضى من أعاجيبها عَجَبٌ، وهو النظام الطبيعي الذي يجعل من قانونه سرَّ هذه الحياة، فهو يحمل علاقة إنسانية فيها روح البشرية؛ لأنه - في أصل وضعه وطبيعته - يحمل الصفاء والطهر والرقّة والنقاء، دون أن يتطرق إلى الذهن أيُّ شيء يكدر صفو الحياة من مضامين الدم، وهذه علاقات إنسانية حميمة.

أما الدَّمُ ففيه تَتَعَوَّلُ الأفكارُ الخائفةُ الحزينةُ المَجْرَحَةُ التي تُدْمِي القلوبَ بُؤْساً، وتنحدر بالذهن إلى ظلمات الخوف، وخرافات الكهوف، وتهويل المَعْرَبِينَ في أغوار الثأر والقتل والحرب والسطو الذي تَتَلَوَّى معه النفوسُ الجائعةُ على شهواتها المَتَجَسِّدَةِ في فَرِيَسَتِهَا.

تمثلت أهداف هذه الدراسة في التعرف على ملامح هذه الثنائية في الشعر العربي القديم، مرتبطةً بالسياقات التي تكشف عن الوشائج الشعرية التي مكنتها من الخروج من خدر المعاني المعجمية إلى فضاء المعاني الدلالية، وهل كان للشعراء قصد من صناعة وشائج هذه الثنائية أم جاءت عفوية؟ وهل يمكن تحديد دلالاتها في السياق الشعري لاستظهار أوجه الإعجاز في هذه اللغة الخالدة؟ هذه هي المشكلات والأهداف التي تسعى الدراسة إلى كشف النقاب عنها معتمدة المنهج الفني التحليلي.

حظيت هذه الثنائية بين الماء والدم بدلالات معجمية ومفاهيم لغوية خاصة، تَرَفَّعَتْ فيها عن الدلالات الدينية فالتفاسير طرقت كلَّ الشروح لهذين اللفظين، كما تَرَفَّعَتْ عن شروح معاني الأبيات، فما أكثر شروح الدواوين قديماً، وإنما عَمَدَتْ إلى هذه العلاقة الدلالية؛ لأتخاشى التكرار خوفاً من السامة والملل من هذا العمل.

فَالدَّمُ لَهُ دَلَالَاتٌ دَارَ فَلَكُهَا حَوْلَ مَعَانِي وَمَفَاهِيمٍ مَتَابِينَةٍ أَفْضَتْ إِلَى هَذِهِ الْعِلَاقَةِ، فَلَقَدْ جَاءَتْ مَادَةٌ (دَمِي) عِنْدَ ابْنِ مَنْظُورٍ اسْمًا عَلَى حَرْفَيْنِ، وَتَثْنِيَّتُهُ دَمَانٍ وَدَمِيَانٍ، وَأَمَّا (الدَّمَوَانُ) فَشَادُّ سَمَاعًا، وَالْجَمْعُ دِمَاءٌ وَدُمِيٌّ، وَدَوَامِيٌّ جَمْعُ لِعَبْرِ الْعَاقِلِ.

أما من الناحية المعرفية: فهو مادة سائلة حمراء، تحمل كل الأحاسيس والمشاعر، فيها معنى الحياة كما فيها معنى الموت؛ لذلك كانوا يعبرون به عن القتل والثأر، فيقولون: (دم فلان).

ففي حَدِيثِ قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ "إِنِّي لِأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ؛" أَيُّ صَوْتِ طَالِبِ دَمٍ يَسْتَشْفِي بِقَتْلِهِ،^٢ ولقد جاء في حديث عبد الله بن أمِّ مَكْنُومٍ فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا

وَالدِّمَاءُ^٣ أَي دِمَاءِ الدَّبَائِحِ.

أما الماء: فتعددت دلالاته أيضاً والتفت حول هذه الدلالات معتقدات وعادات مُتشعبةً فكرياً ووجداناً وسلوكاً، تداخلت هذه الدلالات حيناً وتباينت حيناً آخر.

فمن الناحية اللغوية نجد في مادة (مَوَه) عند ابن منظور: الماء والماء والماءة، وَحَكَى بَعْضُهُمْ اسْقِي مَاءً، وَجَمَعَهَا عَلَى (أَمْوَاه) فِي الْقَلَةِ، وَتَصْغِيرُهُ يَكُونُ عَلَى (مُؤْيِه)، وَفِي الْحَدِيثِ: «كَانَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَغْتَسِلُ عِنْدَ مُؤْيِهٍ»^٤.

أما الدلالة المعرفية: فالماء مادة سائلة شفافة لا لون لها ولا رائحة، تتلون بغيرها، تشارك كل شيء في فترة التكوين والنشأة، وقد ذكر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ذلك فقال: " إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَفِيهِ مَاءٌ أَوْ قَدْ أَصَابَهُ مَاءٌ أَوْ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ " ^٥.

أدرك الإنسان كل هذه الحقائق - حقيقة خلقه من الماء، وبدائته، ونهايته، وماهيته منه، كما وجد فيه مرآة تعكس صورته إذا نظر إلى صفحته، وتعكس داخله إذا قاس على دلالاته، أدرك آثاره في الوجدان إيجاباً أو سلباً، وعرف أن في وجوده حياة وفي عدمه أو كثرته موتاً وفناءً، لأنهم يتواعدون عنده على الحياة كما يتواعدون عنده على الموت والفناء، صَوَّرَ ذَلِكَ الشِعْرَاءُ وَظَهَرَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، قَالَ زَهَيْرٌ:

ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا إِنَّ مَوَعِدَكُمْ مَاءٌ بَشْرَقِي سَلَمَى قَيْدُ أَوْ رَكَكُ^٦

وتزاحم عليه الوراد حتى شغل الشعراء زحائمهم الذي يُفضي أحياناً إلى الدم، قال المتنبي:

وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطْرُهُ دَمٌ فَتَسْقِي إِذَا لَمْ يَسْقِ مِنْ لَمْ يُزَاحِمُ^٧

وانعكست هذه المفاهيم على تفكير الإنسان، وأوحت له مجموعة من الأساطير والمعتقدات، فظهرت لنا فكرة " السُّقْيَا " للميت، إمَّا طلباً لما يحمله الماء من دلالات الرحمة والنقاء والطهر وطيب العيش لساكني القبور، وإمَّا إرضاءً للهامة والصدى.

أولاً: صَوْرَةُ الْمَاءِ وَالِدَمِّ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ

إن تداخل الماء مع تلك الألوان الشعرية التي ارتبطت في الثقافة العربية بالماء تشبيهاً به تارة أو تحديداً لمصدره ومعيته تارة ثانية أو الزود عنه تارة أخرى، تداعت إلى النص ألفاظ القوة؛ لتتآزر مع لفظ الماء، ساقَت هذه القوة الماثلة في الدم ودلالاته على سبيل الحقيقة، والماثلة في الماء ودلالاته على سبيل المجاز -والعكس قد يحدث أيضاً- صوراً متباينة قد تبدو متناقضة، ولكنها في الحقيقة تحمل مستوى

أعمق يتعلق بمنهجية الأدب، ووضعه في الحكم على الأشياء.

إن هذه العلاقة بين الماء والدم تحمل صوراً ثلاثة: الصورة الأولى: العَلاَقَةُ التَّبَادُلِيَّةُ بَيْنَ لَفْظِ المَاءِ وَالدَّمِ، وهي نوعان: التَّوَعُّ الأَوَّلُ: وَضَعُ لَفْظِ المَاءِ مَوْضِعَ لَفْظِ الدَّمِ: هذا النوع يحمل دلالات توحى بأن الشاعر العربي أراد أن يُهَوِّلَ الأمرَ بكثرة الصب أو الانهمار أو السيلان؛ لأن هذا النوع ما هو إلا مَعْرِضٌ لأدوات القتال، وصدى لموسيقى الحرب، تتقطَّعُ فيه الرقاب، وتتصدَّعُ فيه الأبدان والأجساد، ومن ذلك أيضاً قول ابن الرومي:

فَقَمَّ شَارِبٌ رَحِيقاً وَطَرَفٌ شَارِبٌ مَاءَ لَبَّةٍ وَسِحَابٍ^٨

ففي إضافة لفظ (ماء) إلى لفظ (لَبَّة) التي تدل بأصل وضعها اللغوي على موضع النحر والذبح^٩ تَبَادُلٌ بين الماء والدم، فالشاعر استعاض بلفظ الماء —هنا— عن لفظ الدم، ونكَّره ليدل على إيهامه وعموم تهويله، وأكسبه تعريف الإضافة من لفظ (لَبَّة) لتترك أثرها في المعنى، وليعبر بهذه الإضافة وبهذا الترشيح بلفظ (سحاب) عن الدم، ساعده على هذه الدلالات (المقابلة البلاغية بين الشطرين) الواردة في السياق، و(مَاءُ التُّحُورِ) لَيْسَ ببعيد عن (مَاءِ اللَّبَّةِ)، فقال: (حَيْضُ بَيْضُ):

مِنْ مُورِدِي مَاءِ التُّحُورِ جِيادُهُمْ وَالقَاعُ يَخْفِي بالعِجَاجَةِ وَرُدَّةٌ^{١٠}

فالمقصود بـ: (ماء النحور) دماء النحور؛ لأن ألفاظ: (الورد، والجِيَادِ، والقاع) من دلالات القوة، كما أن "النَّحْرَ" من خواص الذبح والدم، قال الله ﷻ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾^{١١}، وشاركه في هذا المعنى ابن الأَبَّارِ البَلَنْسِيِّ، فقال:

رُدَيْبِيَّةٌ قَامَتْ لَهَا بِنْيُوبِهَا لِتُوغِّلَهَا مَاءَ النُّحُورِ وَتُوَلِّعَا

كَأَنَّ الرَّدَى آسٍ وَهَنَّ مَبَاضِعُ ثُرَيْقُ دَمِ البَاغِيَيْنِ مَهْمَا تَبَيَّعَا^{١٢}

كما أن ذِكْرَ الشاعرِ للفظِ الماءِ يُخَفِّفُ من وَطْأَةِ العاملِ النفسي؛ لأن استقبال النفس للفظ الماء يشعر بالارتياح وإن كان يحمل في ذاته معنى الدم أو القتل أو الثأر، ومن ذلك مثل قول أبي الطيب:

تَبْكِي عَلَى الأَنْصِلِ العُمُودِ إِذَا أَنْدَرَهَا أَنَّهُ يُجِرُّهَا

لِعِلْمِهَا أَنَّهَا تَصْبِرُ دَمًا وَأَنَّه فِي الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا

تَنْقَدِحُ النَّارِ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يَخْمِدُهَا^{١٣}

ذَكَرَ الشاعِرُ لفظَ الماءِ في الأبياتِ مضافاً إلى الرقابِ (ماءِ الرقابِ) وهو يعني دماءِ الرقابِ، لتسقط بهذه الإضافة جميعُ معاني الحياة، وأيضاً جميع معاني الرقة والسهولة التي يستنبطها لفظ الماء الذي اكتسب بهذه الإضافة -الجديدة- معاني القوة مشوبة بحمرة الدم الذي صرح به في قوله: (لعلمها أنها تصير دماً)؛ أي تَحْتَضِبُ بالدماء.

وإذا كان لفظ الماء يَطُلُّ بحضوره في الأبيات السابقة إلا أن اقترانه بالرقاب (ماء الرقاب)، وباللبنة (ماء لبة)، وبالنحور (ماء النحور)؛ يجعل للدم سلطان الحضور، وسلطة الولاية بدلاً منه، ولذلك يقول المتنبي -أيضاً- يرثي محمد بن إسحاق التَّوْحِيَّ:

أَيَّامَ قَائِمٍ سَيْفِهِ فِي كَفِّهِ الْـ يُمْنِي وَبَاغِ الْمَوْتِ عَنْهُ قَصِيرٌ
وَلَطَّالَمَا إِهْمَمْتُ بِمَاءٍ أَحْمَرَ فِي شَفَرَتَيْهِ جَمَاجِمٌ وَنُحُورٌ^{١٤}

فقد توسط لفظ الماء بين السيف وشفرتيه وبين الموت والجماجم، فَفَزَعِ الماءُ -الذي يحمل دلالة الحياة- من هذا التوسط، وأسقطت دلالة الموت عليه، فحضر الماء مشوباً بحمرة الدم، ففقد بهذه الحمرة ذاته؛ إذ (لا لون للماء)،^{١٥} على الرغم من حضوره لفظاً، وحضور الدم بسبب هذه الحمرة على الرغم من غيابها لفظاً.

النَّوْعُ الثَّانِي: وَضِعَ لَفْظُ الدَّمِ مَوْضِعَ لَفْظِ المَاءِ: إذا كان لفظ الماء يُوضَعُ مَوْضِعَ لَفْظِ الدَّمِ ليحمل دلالاته المتمثلة في معاني القوة والشدة، فإن لفظ الدم يُوضَعُ مَوْضِعَ لَفْظِ المَاءِ، وذلك إذا كان الموصوف لونه أحمر أو إذا أراد الشاعر أن يكسبه هذا اللون؛ ليعطي للأمر مَرِيَّةَ التَّفْخِيمِ والتَّهْوِيلِ؛ فتبقي دلالات الدم في السياق لثَعْبَرٍ عن هذا الانطباع ويغيب لفظ الماء، وهذا عن طريق المشابهة أو المجاورة، وللسياق دور فعال في هذا التشابه والتجاور؛ ولهذا نجد للدم حضوراً مع ما يتكون منه الماء أو مع ما فيه ماء،... إلخ، خلافاً لطبيعته ويبقى الدم أيضاً شاهداً لهذا التغيير المنصب على الصورة.

وإذا كانت الحمرة من دلالات الدم إلا أن الشاعر عندما يُعَبِّرُ بها في سياق الصفاء أو الرقة تستبطن دلالات الماء، وذلك مثل قول أبي الطيب المتنبي:

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا حَلَا دَمَ العُنُقُودِ^{١٦}

ففي قوله (دم العنقود) تبادل بين الماء الذي غاب حضوره، وبين الدم الذي طُلَّ بحضوره، مُعَزِّزاً هذا الحضور بقوله: (الدماء حرام)، فالمقصود من قوله (دم العنقود) ماء العنقود: أي العنب، والمعنى للخمر؛^{١٧} لذلك يقولون: ماء العنب، وماء التفاح،... إلخ. ويقول صاحب العود الهندي: وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ

مَا لَا يُسْكِرُ مِنْ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ... لَا يُسَمِّي حَمْرًا،^{١٨} لَأَنَّ أَصْلَ الْخَمْرِ مَاءٌ مَشْتُوبٌ بِحَمْرَةٍ، وَجَاءَ بَيْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَمَّامِ السَّلُولِيِّ عَلَى أَصْلِهِ دُونَ اسْتِعَارَةٍ،^{١٩} فَقَالَ:

مَنْ ذَا يُجْرِمُ مَاءَ الْمَزْنِ حَالِطُهُ فِي بَطْنِ حَابِيَةِ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ^{٢٠}

أَوْ إِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يُعْطِيَ لِلْأَمْرِ مَزِيَّةَ التَّفْخِيمِ وَالتَّهْوِيلِ، أَكْسَبَ مَوْصُوفَهُ هَذِهِ الصِّفَةَ (الْحُمْرَةَ)، وَيَتَضَحَّ ذَلِكَ فِي قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:

بَلَلْتُ بِهَا رُدْيِي وَالْغَيْمُ مُسْعِدِي وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عَبْرَتِي دَمٌ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا انْهَلَّ فِي الْحَدِّ مِنْ دَمِي لَمَا كَانَ مُحْمَرًّا يَسِيلُ فَأَسْقَمُ^{٢١}

ففي قوله (عَبْرَتِي دَمٌ - مَا انْهَلَّ... مِنْ دَمِي) تبادل بين الماء في الحقيقة والدم في المجاز؛ لأن دلالات القوة ماثلة في السياق بحضور لفظ الدم (محمرًا - أسقم)، بَرَهَنَ بِهَا الشَّاعِرُ عَلَى دَمَوِيَّةِ عَبْرَتِهِ وَدَمَعَتِهِ، فَاسْتَبَدَلَ الدَّمْعَ (الماء) السائل المنهمر من عينة بالدم، معززاً هذا التبادل، بحمرة الدم وعلّة المرض، وهما من خصائص اتّهام الحياة، ويقوِّي هذا التبادل ويؤكدّه في موطن آخر فيقول:

أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجَدْنَا بِأَنْفُسِ تَسِيلُ مِنَ الْأَمَاقِ وَالسِّمِ أَدْمُعُ^{٢٢}

ولقد سبقه لهذا المعنى بشارٌ فقال:^{٢٣}

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَأْوَها وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَدُوبُ فَتَقَطُرُ

فهو يرى أن عينه تسيل بالروح؛ (لأنها كانت دماً، وخروج الدم فيها خروج الروح)،^{٢٤} فالتبادل بين الماء والدم صورة ثابتة في الشعر العربي القديم، يُظهرها السياق عن طريق المشابهة الماثلة في علم البيان وغيره، دون تكلف أو رغبة أو قصد.

الصورة الثانية: العَلاقَةُ الدَّلَالِيَّةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالِدَّمِ، فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ دَلَالَاتُ الدَّمِ مَعَ لَفْظِ الْمَاءِ؛ إِذْ قَدْ يَغِيبُ لَفْظُ الدَّمِ وَتَبْقَى دَلَالَاتُهُ الْمِثْلَةُ فِي أَدْوَاتِ الْقِتَالِ: كَالسِّيفِ، وَالْأَسْنَةِ، وَالْجِيَادِ، وَالْحَدِيدِ... إلخ، مَعَ لَفْظِ الْمَاءِ؛ لِتَعْيِيرِ عَنِ الْقُوَّةِ وَالشَّدَةِ أَوْ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ أَوْ الْحَرْبِ وَالثَّأْرِ، فَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ لَهَا الْقُدْرَةُ عَلَى اتِّخَاذِ دَلَالَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ تَبَعاً لِلِاسْتِعْمَالَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تَسْتَعْمَلُ فِيهَا.

فحضور لفظ الماء مع دلالات الدم يحمل في نفسه معنى الدم، كما يحمل فقدان الحياة، وهذه دلالة معنوية، أكسبه إياها السياق، تحمل في ذاتها الصورة التي يتنفس فيها الشاعر، وتنبج منها أضواء القوة التي تأخذ دلالتها من الدم على أنه أصل الصورة التي دلّت بمفردها على المعنى الغائب في لفظ

الماء، وربما دلت على الحدث والزمن معاً.

إن حاسة الشاعر النابضة المفكرة تأخذ مادتها، وتكوّن صورتها - في مثل هذا السياق - من هذه الدلالات التي تختضب بالدماء، وتموج بالموت، فالأسنة والسيوف والحديد والجياد، كأن الشاعر يسمع لها زَمْجَرَةً كزَمْجَرَةِ البحر الهائج مع الريح العاتية أو يسمع لها صَلْصَلَةً ودويّاً وهداً شديداً كأنها تُفْتَرَسُ - من وجهة نظره - أسباب الحياة، وكأن في نفسه أبنية تنقض وتهدم، كل هذه الأحاسيس المعنوية والدلالات الحسية تتعاقب مع لفظ الماء الذي اكتسب هذه المعاني من السياق عن طريق المجاورة أو عن طريق المشابهة؛ لتعبر - قاصداً - عن عاطفة الشاعر الذاتية المكلمة في صورة دموية.

ولعل فكرة ورود الحديد مع الماء في قول الشنفرى يكشف عن هذه الجوانب، وما فيها من دلالات تظهر مناط القوة والشدة في صدى الحرب وموسيقى القتال؛ حيث قال:

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنَّدٌ مُجَذُّ لِأَطْرَافِ السَّوَاعِدِ مِقْطَفٌ^{٢٥}

فلقد جاورت دلالات الدم (الحديد) لفظ (ماء) الذي يدل بأصل معناه اللغوي على الرقة والصفاء، فلقد جعل الشاعر الماءَ يَجُذُّ الرِّقَابَ، وهو يعني الدروع والسيوف والسلاح، وهذه من دلالات الدم، عزّز هذه الدلالات بقوله: (مُهَنَّدٌ - جَذٌّ) التي تدخل في تحديد العلاقة التي تُبَيِّنُ عليها الصورة، وغياب لفظ الدم مع الإبقاء على دلالاته يثبت هذه العلاقة الدلالية بينهما، وأخذ جميلُ بثينة من قوله فقال:

وَأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنَّدٌ لَهُ بَعْدَ إِخْلَاصِ الصَّرِيْبَةِ رَوْنُقٌ^{٢٦}

ولذلك قالت الخنساء تبكي أخيها صخر:

وَلَكَيْتُ أَيْبُتُ لِدِكْرِ صَخْرٍ أَعْصُ بِسَلْسَلِ الْمَاءِ الْعَضِيضِ^{٢٧}

فالشاعرة تحمل لفظ الماء في البيت اهتماما خاصا، فقد ورد ظاهرا يوحي بالصفاء (سلسل الماء)؛ ولكن ظلت دلالات الألم والقلق والتوتر مستترة بداخله، وجاء مُعْرَفًا بـ (ال) موصوفا بـ (العضيض) لينتزع معنى الرقة والصفاء التي تحمل معنى الحياة إلى معاني الألم والحزن التي تدل على الموت، تضعنا الشاعرة أمام قوتين تتجادبهما قوة الموت وقوة الحياة، وإذا كان الموت قد حدث في الزمن الماضي، إلا أن (العَصَصَ) ظل قائماً مستمراً، وظل الزمن المضارع (أَعْصُ) شاهداً على استمراره، و(ال) في (العَضِيضِ) تدل على الاستمرار والدوام.

فهذا الارتباط بين دلالات الدم والماء قد أورده المتنبي في شعره، متأثراً بسلفه، فقال:
أَفْرَسُ مَنْ تَسْبِخُ الْجِيَادُ بِهِ وَلَيْسَ إِلَّا الْحَدِيدُ أَمْوَاهُ^{٢٨}

حضرت دلالات الدم، وهي (الحديد) مع لفظ (أمواه) الذي يدل على الليونة والنعومة، فلقد جعل الشاعر الماء الذي تسبح فيه الجياد حديداً، وهذه من دلالات القوة، عزز هذه الدلالات بقوله: (الجياد)، مع غياب لفظ الدم والإبقاء على دلالاته، كما أن لفظ (مَنْ) قد بلغ الغاية – هنا – في التصوير الأدبي؛ لما يفيد من العموم والشمول.

ولعل فكرة وُرُودِ السيف الماء تحمل معها فكرة المعاودة والتكرار لهذا الورد، فكلمة خامر السيف العطش ورد الماء ليشرب من الجماجم، لذلك قال المتنبي:

كَأَنَّ عَلَى الْجَمَاجِمِ مِنْهُ نَارًا وَأَيْدِي الْقَوْمِ أَجْنَحَةُ الْفَرَّاشِ
كَأَنَّ جَوَارِي الْمَهْجَاتِ مَاءٌ يُعَاوِدُهَا الْمَهْنَدُ مِنْ عُطَّاشِ^{٢٩}

وتظهر النار مع الدم والماء، وهو ظهور متكرر في شعر أبي الطيب بين هذه الثلاثية التي تتطلب البحث والدراسة، ففي قوله (الجماجم) التي تحمل معنى الدم، يخلع على ممدوحه صفة الفروسية والشجاعة، فهو (من شدة ضربه الجماجم صار كأن عليه ناراً)،^{٣٠} ثم يعود إلى الماء وكأن الحرب تهدأ فَنَاسَبَتْ رِقَّةَ الْمَاءِ أَوْ تَشْتَعَلُ فَتَحْتَاجُ إِلَى الْمَاءِ، فتوسَّطُ دلالات الدم (المهجات) بين مدلول الماء ولفظه، ساعد هذا التوسط وهذا التجاور وهذا الالتصاق بين المشبه والمشبّه به (جوارى المهجات ماء) على حضور لفظ الدم من خلال الكناية، على حين يحضر لفظ الماء صراحةً مُعَضِّدًا بكلمة جوارى السابقة له،^{٣١} وكلمة العطش التالية له، لالتصاق هاتين الكلمتين بالماء أكثر من التصاقهما بالدم.

النَّوْعُ الثَّانِي: دَلَالَةُ الْمَاءِ مَعَ لَفْظِ الدَّمِ، وتنعكس الصورة، فينتفي لفظ الماء، وتبقى دلالاته الماثلة في: المطر، والسحاب، والرّي، والعطش، والسُّقْيَا،... إلخ، مع لفظ الدم الحاضر جسداً ومعنى، ليعبر عن انهدام الحياة، وغياب العقل في وقت حضوره.

هذه الدلالات السابقة رغم ما تحمله من معاني قديمة، تتمثل في: الرقة، والصفاء، والليونة، إلا أنها لا تستطيع أن تصور وحدها روافد المعنى الجديد الذي يشكله التيار العام للصورة في القصيدة، إلا عن طريق مجاورتها للفظ الدم الذي يثير فيها هذه المعاني الجديدة.

كما أن هذه الكلمات تقدم لنا معاني ليس من السهل أن نتصور – ولو دُكِرَ لفظُ الدم دونها – أيّ جَوٍّ يريد أن يضعنا فيه الشاعر أو أيّ جَوٍّ تستوحيه هذه الكلمات، ومن ثم فلا بد من حضورهما

معاً، ومن ذلك فأما قولُ الشنفرى:

حُسَامٌ كَلَوْنَ الْمَلْحِ صَافٍ حَدِيدُهُ جُرَازٍ كَأَقْطَاعِ الْعَدِيرِ الْمِنَعَتِ
تَرَاهَا كَأَذْنَابِ الْحَسِيلِ صَوَادِرًا وَقَدْ نَهَلْتِ مِنَ الدِّمَاءِ وَعَلَّتِ ٣٢

فلقد غاب لفظ الماء وحضرت دلالاته (الغدِير - نهل - علت)، مع لفظ الدم، ليحمل السياق معاني الموت وتغيب معاني الحياة.

فهذا النوع من هذه الصورة لا يريد به الشاعر العربي - في معظم قصائده - غير التعبير عن كثرة السيالان والصب والانهمار، ويتضح ذلك في قول المتنبي:

فَدَانَتْ مَرَاثِقُهُنَّ الْبَرَى عَلَى ثِقَّةٍ بِالْدَمِ الْغَاسِلِ ٣٣

ففي قوله (بالدم الغاسل)، خروج عن المعنى الأصلي لكلمة (الغسل) إلى معنى جديد استوحته من السياق؛ لأن الغسل من خواص ودلالات الماء، قال الله ﷻ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾، ٣٤ فإلماء يعبر عن الرقة وكذلك دلالاته؛ ولكن أكسبه السياق المتمثل في الإضافة دلالاتٍ جديدةً تعبر عن الشدة والموت.

فصورة الغسل هنا تثير معنى الخوف والفرع، وكذلك لفظ (السُّقْيَا - الرَّيِّي) حاملاً بعضاً من هذه المعاني، في قول أبي الطيب أيضاً:

سَقَى الدَّمَ كُلَّ نَصَلٍ غَيْرِ نَابٍ وَرَوَّى كُلَّ رُمَحٍ غَيْرِ رَاشٍ ٣٥

إن دلالات الماء الحاضرة في قوله (سقى - روى) تحمل من دلالات المجاورة لها معنى الدم، مع ملاحظة أن هذه الدلالات التي اكتسبت معنى الشدة التي غَضِدَتْ بذكر (النصل، والرمح)؛ وهما أداة متخصصة لسفك الدماء - أَفْقَدَتْ (السُّقْيَا - الرَّيِّي) دلالتيهما القديمة وأصبح - كل منهما - حاملاً هذه المعاني الجديدة؛ ليكونا سبباً في الموت والفناء بدلاً من العيش والحياة، وقريب منه قول المتنبي أيضاً:

كَمْ مِنْ دَمٍ رَوِيَتْ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ وَمُهَجَّةٍ وَلَعَتْ فِيهَا بَوَاتِرُهُ ٣٦

فالرَّيِّي: إتمام الشرب، وكذلك لفظ "ولغت" صار اسماً للشرب مطلقاً؛ ٣٧ ولكنهما يفقدان هذه الدلالة بسبب مجاورتهما لفظ الدم، ويحملان دلالة الشدة والقسوة، ليدلا على أن العلاقة بين الماء والدم علاقة دلالية، تجمعهما صداقة تتمثل في قوام السيولة، وعمادة الحياة، فكل منهما يتماهى في الآخر

جسداً ومعنى، ويبقى في دلالتها الأصلية أو لازم معناها ما يدل على محذوف يعبر عن أصل وضعها اللغوي.

الصورة الثالثة: غياب لفظهما وحضور دلالتيهما، قد يغيب اللفظان معاً عن السياق ويحضر ما يدل عليهما، فتأتي دلالات الماء التي تنير معاني الرقة والصفاء فتكتسب معاني الشدة والقوة من دلالات الدم الحاضرة في السياق أو المجاورة لها، ولا ضير في تقديم أحدهما على الآخر.

فالعلاقة بين الورد والماء والحمرة علاقة تلازم وتبادل، حيث يحضر لفظ الورد ويغيب الماء، وتحضر (الحمرة) ويغيب لفظ الدم، ليحملا معاً معنى القوة، فتسقط من الماء معاني الإيجاب والصفاء والسُّقيا، وتتعرَّضُ معاني السلب والقوة وما تحمله من دماء.

هذا التاريخ الدموي للورد والماء والسيف، هو تاريخ العرب، الذي أشاد به عمرو بن كلثوم مفتخراً فقال: ^{٣٨}

أبا هِنْدٍ فَلَا تَعَجَّلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُحْبِرَكَ الْيَقِينَا
بَأْتًا نَوْرِدُ الرِّايَاتِ بِيضًا وَنُصَدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

وهذا التماهي بين دلالات الماء والدم جعل لفظ (الرِّيِّ) الملتصق بالماء دائماً، يخرج من بوابة الحياة إلى بوابة الموت (ونصدرهن حُمرا) لغلبة السياق الذي قصده الشاعر، وما يحمله من معاني الموت والفناء دون معنى للحياة، ومن ذلك قول عنتره أيضاً:

وَلَكُمْ وَرَدْتُ الْمَوْتَ أَعْظَمَ مَوْرِدٍ وَصَدَرْتُ عَنْهُ فَكَانَ أَعْظَمَ مَصْدَرٍ ^{٣٩}

فورود السيف (ورَدَ الموت) يتبعه انزياح يلحق بلفظ الماء، لتظهر لنا ألفاظ الدماء وحمرتها، وإذا ما لحق هذا الانزياح فإن العلاقة بين دلالات الماء والدماء، تصبح علاقة تبادلية،^{٤٠} فيتتماهى كلُّ منهما في الآخر.

وبحضور الأسننة والمطر تتوالى الأبيات كاشفة عن غياب الدم والماء، ومجيئها مصحوبة بذكر أدلتها، يقول أبو الطيب المتنبي:

سَحَائِبُ مُحْطَرْنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمْ فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلُ
وَأَمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعَرْقَةٍ كَأَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلَاتِ دُيُولُ
وَعَادَتِ فَظَّتُوهَا بِمَوَزَارٍ قُفْلًا وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الدُّخُولُ قُفُولُ

فَخَاضَتْ نَجِيعَ الْجَمْعِ حَوْضاً كَأَنَّهُ بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخْضَهُ كَفَيْلُ
تُسَايِرُهَا النِّيرَانُ فِي كُلِّ مَسَلَكٍ بِهِ الْقَوْمُ صَرَعى وَالِدِيَارُ طُلُولُ^{٤١}

فلنلاحظ غياب لفظ الدم وحضور دلالاته من خلال (الحديد، والسيوف، والنجيع)، كما نلاحظ غياب لفظ الماء وحضور دلالاته من خلال (السحاب، والمطر، والغسل) ومن خلال لفظ (الخوض) الذي تكرر في بيتٍ واحدٍ ثلاثَ مراتٍ حاملاً معه دلالة الكثرة من جانب المعنى، ودلالة القلق والتوتر من جانب التكرار اللفظي والتردد بين الإيجاب والنقي في (خاضت، حوضاً، لم تخضه)، ساعد على غيابهما خاصة أن السحاب كانت خيلاً، ومطرها كان حديداً، وكلمة الغسل سبقت بالسيوف، ومفعول خاضت كان نجيعاً؛ ليحضر بهذه الدلالات الدم ليعبر عن الكثرة والشدة والقسوة الحاضرة دوماً في قصائد الحروب والقتال عند أبي الطيب.

هذا التماهي بين الماء والدم أو هذه العلاقة التبادلية بينهما بصحبة السيف والموت والمطر والسحاب نلاحظها في قول المتنبي:^{٤٢}

قَوْمٌ إِذَا أَمَطَّرَتْ مَوْتاً سُيُوفُهُمْ حَسِبَتْهَا سُحْباً جَادَتْ عَلَى بَلَدٍ^{٤٣}

فالطرفان الماء والدم غائبان لفظاً حاضراً معني، حضر الماء إلى النص من خلال دلالات السحاب والمطر المتضمن لدلالة الخير (جادت على بلد)،^{٤٤} فارتبط بالماء دلالة الحياة، إلا أن هذه الدلالة سرعان ما تغيب لحضور الموت الذي هو مفعول المطر، وحضور السيوف الذي هو فاعله؛ لتظهر دلالة الدم الذي هو نتيجة لتأثير السيف وعلامة الموت.

وغير ذلك من الصور التي نلاحظ فيها أن لهذه الأدوات حضوراً في هذه العلاقة الدلالية بين الماء والدم في الشعر العربي، فحضور أحدهما يستدعي حضور الآخر وإن غاب في باطنه دلالات أسقطها السياق داخل النص، ليثبتنا سجلاً بينهما في الشعر العربي، مما يؤكد العلاقة التبادلية بين الماء والدم أو تماهي الماء في الدم أو الدم في الماء أو غيابهما ومثول دلالتهما.

ولا بد أن ندرك أن اللغة العربية متجددة خالدة، ليس بها سدود مانعة أو أغلال تبعية مقيدة، فالقوة الطاردة في أعماق هذه اللغة -الممثلة في القرآن الكريم الذي لا يبلى مع كثرة الرد- تُمزق كلَّ أغلال القيود، وتسطو على أي تقليد، وتتجدد لتواكب كل العصور الحضارية والأزمان المعاصرة، فهي لغة ثرية بكل المقاييس.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى ما يأتي:

١. لهذه الثنائية التبادلية حضورٌ واضحٌ في الشعر العربي القديم، مصطحباً هذا الحضور دلالات متعددة ومتقابلة، فحضور الماء -في هذه الدراسة- جاء مختلفاً في ارتباطه بدلالات القوة من السيف والأسنة والخيل والجياد والنار والثأر، وجاء هذا الاختلاف والتفاوت تبعاً للفظ الدم أو حضور دلالاته، فعند غيابها عن النص يظل الماء محتفظاً بذاته ولا يفقد شيئاً من سماته إلا إذا أخذ من السياق الذي تظهر فيه أدوات القتال شيئاً يعزّز فيه دلالات القوة وتطرح عنه دلالات الليونة والسهولة لأنها لا تجاري السياق ولا تتماشى مع معانيه.

٢. وعند حضور الدم إلى النص بدلاً من لفظ الماء، ليحمل معنى كثرة الانهمار والصبّ أو مع أدوات القتال، يقيم مع لفظ الماء علاقة تبادلية أو علاقة دلالية، فيغيب أحدهما في الآخر، ويظل الدم مع أدوات القتال شاهداً على هذا الحضور، وعاملاً مؤثراً فيه، بعد أن أصبح للسيف أو الحديد مطرّاً وسحاباً ووروداً وغسل وعطش، فيصنع بهذه العلاقات وشائج قوية بين سائلين يتماهى كل منهما في الآخر من خلال علاقة تبادلية أو تاركاً علاقة جدلية بين الدالتين.

٣. وهذا يؤكد أن الشعر العربي متجدد قادر على المواكبة، والتفرد فقد لا تجد هذا الارتباط بين الماء والدم مصقول هذا الصقل في غيره من اللغات، أشادت به هذه الدراسة في بعض مواطنها.

٤. كما أن هذه الدراسة تعد إطاراً عاماً لفهم هذه الظاهرة؛ لكي يتم وضعها في السياق الأدبي الأنسب، ولفت نظر الباحثين إلى مواطنها.

هوامش البحث:

- ^١ سورة الأنبياء، الآية ٣٠.
- ^٢ النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج ٣، ص ١٤٢٥، (باب قتل كعب بن الأشرف).
- ^٣ ابن أنس، الإمام مالك، الموطأ، تحقيق: محمد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م)، ج ١، ص ٢٠٣.
- ^٤ ابن الأثير، محمد بن الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزواوي، محمود الطناحي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج ٤، ص ٣٧٣.
- ^٥ الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، ط ٥، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦م)، ج ٥، ص ١٤٢.

- ^٦ ثعلب، أبو العباس، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ط ١، تحقيق: حنّاً نصر الحتي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٢م)، ص ١٣٩.
- ^٧ المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي "معجز أحمد"، ط ٢، تحقيق: عبد المجيد دياب، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٣٩٨.
- ^٨ ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج، الديوان، ط ٣، تحقيق: أحمد حسن بسج، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ج ١، ص ١٩٠.
- ^٩ ابن منظور، اللسان: (مادة: لب).
^{١٠} خيصة بئص، الأمير شهاب الدين سعد بن محمد التميمي البغدادي، الديوان، تحقيق: مكّي السيد جاسم، وشاكر هادي شاكر، (بغداد: منشورات وزارة الإعلام، ١٩٧٤م)، ج ١، ص ٣١٧.
- ^{١١} سورة الكوثر، آية ٢.
^{١٢} الأَبَّار البَلَنْسِي، أبو عبد الله محمد، الديوان، تحقيق: عبد السلام الهَرَّاس، (الرباط: مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م)، ص ٣٨١.
- ^{١٣} البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٣٨م)، ج ٢، ص ٣٣-٣٤.
- ^{١٤} المعري. أبو العلاء، معجز أحمد، ج ١، ص ٢٦٠؛ والبرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ج ٢، ص ٢٣١.
- ^{١٥} صَوَّرَهُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِي فِي لُزُومِيَّاتِهِ، فَقَالَ:
 وَلَا لَوْنَ لِلْمَاءِ فِيمَا يُقَالُ وَلكِنْ تَلَوُّهُ بِالْأَوَانِي
- ^{١٦} المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله، ديوان لزوم ما لا يلزم، ط ١، رواية الإمام التبريزي، مراجعة: الإمام الجواليقي تقديم وشرح وفهرسة: وحيد كبابه، وحسن صمد، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣١٦هـ)، ج ٢، ص ٥٣٦.
- ^{١٧} المعري، أبو العلاء، معجز أحمد، ج ١، ص ٧٤.
 انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٧٤.
- ^{١٨} السقاف، علامة حضرموت السيد عبد الرحمن بن عبيد الله، (العُودُ الْهِنْدِيُّ عَنْ أَمَانِي فِي دِيْوَانِ الْكِنْدِيِّ، "مجالس أدبية في ديوان المتنبي)، ط ٢، عُنِي بِهِ: محمد مصطفى الخطيب، (الرياض: دار المنهاج، ٢٠١٠م)، ج ٢، ص ٢٦٤.
- ^{١٩} ففي قوله (دم العنقود) استعارة، حيث شبه الماء بالدم، وحذف المشبه، وتناسى التشبيه، وأدعى أن المشبه به جنس من أجناسه أو دلالة من دلالاته، على سبيل الاستعارة التصريحية.
- ^{٢٠} النويري، لشهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط ١، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٣م)، ج ٢٠، ص ٥١٢.
- ^{٢١} المعري، أبو العلاء، معجز أحمد، ج ٢، ص ٤٣.
- ^{٢٢} انظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ١١١.
- ^{٢٣} ابن برد، بشار، الديوان، شرح: محمد الطاهر ابن عاشور، صححه: محمد شوقي أمين، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦٦م)، ج ٤، ص ٤٨.
- ^{٢٤} المعري، أبو العلاء، معجز أحمد، ج ١، ص ١١١.
- ^{٢٥} الشنفرى، عمرو بن مالك، الديوان، ط ٢، تحقيق: إميل بديع يعقوب، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٩م)، ص ٥٣.
- ^{٢٦} جميل بئينة، جميل بن معمر، الديوان، (بيروت: دار صادر)، ص؛ و(بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٢م)، ص ٣٤.
- ^{٢٧} الخنساء، تناصر بنت عمرو بن الشريد، الديوان، (بيروت: المكتبة الثقافية، د.ت)، ص ٧١.
- ^{٢٨} المعري، أبو العلاء، معجز أحمد، ج ٢، ص ٥٣٥.
- ^{٢٩} المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٠٢؛ والبرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ج ٢، ص ٣١٨.
- ^{٣٠} المعري، أبو العلاء، معجز أحمد، ج ٢، ص ٥٠٢.
- ^{٣١} قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن، آية ٣٤].
- ^{٣٢} الشنفرى، الديوان، ص ٣٦. تَحَلَّى: شَرِبَ أَوَّلَ الشَّرْبِ. عَلَّ: شَرِبَ بَعْدَ الشَّرْبِ الْأَوَّلِ ثَانِيَةً، أَوْ تَبَاعَاً

- ٣٣ المعري، أبو العلاء، معجز أحمد، ج ٣، ص ٦١.
- ٣٤ سورة المائدة، من آية ٦.
- ٣٥ المعري، أبو العلاء، معجز أحمد، ج ٢، ص ٤٦٦.
- ٣٦ المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٩.
- ٣٧ المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٠.
- ٣٨ الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ط ٤، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م)، ص ٤٢٠.
- ٣٩ العبسي، عنزة بن شداد، الديوان، ط ١، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: مجيد طراد، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٢م)، ص ٦١.
- ٤٠ ولا يغيب السجع الناقص بين (ماء - دماء) فهذه خصية أخرى تجمع بين الماء والدم وتميزهما عن غيرهما.
- ٤١ المعري، أبو العلاء، معجز أحمد، ج ٣، ص ٣؛ والبرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ج ٣، ص ٢٢٤.
- ٤٢ ولا يغيب ما في الصورة من استعارة مكنية، حيث شبه السيوف بالسماء، وحذف المشبه به، على سبيل الاستعارة المكنية. وفي قوله: (موتاً) مجاز مرسل علاقته المسببية أيضاً.
- ٤٣ المعري، أبو العلاء، معجز أحمد، ج ١، ص ٢٣٨؛ والبرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ج ٢، ص ٧٣.
- ٤٤ ليس دوماً دلالة لفظ "المطر" على الخير، بل يدل على الخير والشر أيضاً، فمن دلالاته على الشر قول الله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾، النمل آية ٥٨. ومن دلالاته على الخير قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ غَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا غَارِضٌ مُّطِرُنَا﴾، الأحقاف، آية ٢٤. ومن حيث دلالاته على الشر في أقوال الشعراء قول المتنبي متأثراً بآية الأحقاف السابقة من حيث المعنى: (معجز أحمد، ج ١، ص ٢٥٣).
- غُرٌّ طَلَعَتْ عَلَيْهِ طِلْعَةٌ عَارِضٍ مَطَرُ الْمَنِيَا وَإِبِلًا وَرَذَاذَا
- ومن حيث دلالاته على الخير والشر معاً قوله أيضاً: (معجز أحمد، ج ٤، ص ٣٨٢).
- وَمُطِرُ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ مَعَاً وَأَنْتَ لَا بَارِقٌ وَلَا رَاعِدٌ
- ربما لهذا السبب (وهو دلالة لفظ المطر على الخير والشر)، اعتمد المتنبي عليه، ولم يعتمد على لفظ "الغيث"، فلم يقل "قَوْمٌ إِذَا غَائَتْ مَوْتًا سَيُوفُهُمْ"؛ لأن لفظ الغيث لا يأتي إلا للخير، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾، الشورى آية ٢٨. وفي الحديث "فَادْعُ اللَّهَ يَغِيثُنَا"، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦١٣.

References

المراجع

- Ḥice Bice, Shahāb al-Din Sa'd Bin Moḥammad al-Tamimi al-Baghdādiy, *al-Diwān*, Taḥqiq: Makkiy al-Saiyyd Jāsem, Shāker Hādi Shāker, (Iraq: Manshurāt Wizārah al-I'lām, 1974).
- Al-'abssiy, 'antrah Bin Shaddād, *al-Diwān*, Sharḥ al-Khatib al-Tabriziy, Taḥqiq: Magiyd Ṭarrād, 1th Edition, (Beirut: Dār al-Kitāb al-'arabi, 1992)
- Al-'anbāriy. 'abu Bakr Moḥammad Bin al-Qasim, *Sharḥ al-Qaṣā'id al-Sabe' al-Ṭiwāl al-Jāhliyyāt*, Taḥqiq: 'abd al-Salām Hārūn, 4th Edition, (Cairo: Dār al-Ma'āref, 1980).
- AL-abbār al-Bulnusiyy, 'abu 'abd Allah Moḥammad, *al-Diwān*, Taḥqiq: 'abd al-Salām Al-Harrās, (Morocco: Maṭba'ah Wizārah al-'awqāf Wa al-Shu'un al-Islāmiyyah, 1999).
- AL-Barqoqiyy. 'abd al-Raḥmān, *Sharḥ Diwan al-Mutanabiy*, (Beirut: Dār al-Kitāb al-'arabi, 1938).
- AL-Jāḥez, 'amr Ibn Baḥr, *al-Haiwān*, Taḥqiq: 'abd al-Salām Hārūn, 5th Edition, (Cairo: Maktabah Wa Matba'ah Muṣṭafā al-Bābiyy al-Ḥalabiyy, 1966).
- Al-Khansā'. Tamāḍr Bint 'amr Bin al-Shuraid, *al-Diwan*, (Beirut: al-Maktabah al-Thaqāfiyyah, No date).
- Al-Ma'ri. 'abu al-'ala' 'aḥmed Bin 'abdullah, *Sharḥ Diwān 'abi al-Ṭaiyeb al-Mutanabiy* "Mo'gez 'aḥmed", Taḥqiq: 'abd al-Majid Diāb, 2th Edition, (Cairo: Dar al-Ma'ārif, 1992).
- Al-Ma'ri. 'abu al-'Ala' 'aḥmad Bin 'abd Allah, *Diwan Lezum Mā Lā yalzam*, Riwāiyah al-Imām al-Tabriziy, Murāja'ah: al-Imām al-Jawāliqiy. Taqdim Wa sharḥ: Waḥid Kabābeh Wa Ḥasan Ṣamad, 1th Edition, (Beirut: Dār al-Kitāb al-'arabi, 1894).
- Al-Nisāburi. Muslim Bin al-Hajjaj 'abu al-Ḥasan al-Qashiri, *Ṣaḥeeḥ Muslim*, Taḥqiq: Moḥammed Fou'ād 'abd al-Bāqi, (Beirut: Dār 'iḥiā' al-Turāth al-'arabi, No date).
- Al-Nuweiriyy. Shahāb al-Din, *Nihāiyah al-'arab Fi Fnun al-'adab*, 1th Edition, (Cairo: Dār al-Kutub Wa al-Wathā'iyy al-Qawmiyyah, 2002).
- Al-Saqqāf. 'allāmah Ḥaḍramaut al-Saiyyd 'abd al-Raḥman Bin 'ubaid "*al-'ud al-Hindiyy 'an 'amāliyy Fi Diwān al-Kindiy*," Majāles 'adabiyyah Fi Diwān al-Mutanabbiyy, 'uniya Bih: Moḥammad Muṣṭafā al-Khatib, 2th Edition, (Saudi Arabia: Dār Al-Menhāj, 2010).

- Al-Shanfrā. ‘amr Bin Mālik, *al-Diwan*, Taḥqiq: Imil Badi‘ Ya‘qoub, 2th Edition, (Beirut: Dār al-Kitāb al-‘arabi, 1999).
- Ibn ‘anas. Mālik, *al-Mouṭa’*, Taḥqiq: Moḥammad ‘abd al-Bāqi, (Beirut: Dār ‘iḥiā’ al-Turāth al-‘arabi, 1985).
- Ibn al-’atheer. Moḥammed Bin al-Jazri, *al-Nihāiyah Fi gharib al-Ḥadith Wa al’athar*, Taḥqiq: Ṭāher al-Zawāwiy, Maḥmud al-Ṭannāhiy, (Beirut: Dār ‘iḥiā’ al-Turāth al-‘arabi, No date).
- Ibn al-Roumi. ‘ali Bin ‘abbas Bin Greg, *al-Diwān*, Taḥqiq: ‘aḥmed Ḥassan Bsj, 3th Edition, (Beirut: Dār al-Kutub al-’ilmiyyah, 2002).
- Ibn Bord, Bashār, *al-Diwān*, Sharḥ: Moḥammad al-Ṭāher Bin ‘āshour, Ṣaḥaḥahu: Moḥammad Shawqy ‘amin, (Cairo: Matba‘ah lajnah al-Ta’lif Wa al-Tarjamah, 1966).
- Ibn Manzor. Jamāl al-Din Moḥammad Bin Makram, *Lisān al-‘arab*, (Beirut: Dār Ṣāder, 1993).
- Jamil Buthaina. Jamil Bin Mu‘ammar, *al-Diwan*, (Beirut: Dār Ṣāder, No date), and. (Beirut: Dār Beirut Li al-Nasher, 1982).
- Tha‘lab, ‘abu al-‘abbās, *Sharḥ Diwān Zuhair Bin ‘abi Sulmā*, Taḥqiq: Ḥannā Naṣr al-Ḥatti, 1th Edition, (Beirut: Dār al-Kitāb al-‘arabi, 1992).